

تنظيم أوقات الفراغ

للاستاذ حسن رمزي بك

مدير إدارة الخدمة الاجتماعية «شؤون الاجتماعية»

تخصص الشخصية العامة في كل أمة إلى بواهب ومؤثرات ، شأنها في ذلك شأن الفرد وهذه حقيقة علمية يعرفها كبار المصلحين ويعملون دائماً على ضوئها ويتخذونها أساساً لوضع سياساتهم الاجتماعية . فهم يبحثون أسباب الضعف والقوة المادية والأدبية ويدرسون استعداد الأمة وقابليتها للإصلاح ثم يرسمون بعد ذلك طريق الإصلاح .

لكل أمة حياة كما للفرد . ومظاهر هذه الحياة كانت موضع بحث العلماء كل بحسب اختصاصه ، وما سياسات الإصلاح سوى ربط نتائج الأبحاث بعضها ببعض في نظام يوحدتها ويوجهها نحو غايات معينة .

وقد ألف كثير من المصلحين نظاماً معيناً من الإصلاح أو نموذجاً يرجعون إليه في تفكيرهم لإيجاد أمة قوية سعيدة حتى باعثهم ظهور نوع جديد من الإصلاح الاجتماعي مكمل لهذا النموذج وهو " تنظيم أوقات الفراغ " وكان هذا بمثابة اكتشاف اجتماعي يذكرنا بما نعرفه عن حياتنا كأفراد من أن الراحة مكمة للنشاط وأن النوم مكمل لليقظة وأن الإنسان مطالب بحكم طبيعته أن يرب هاتين الحالتين وأن يوجد التوافق بينهما محافظة على كيانه البدني والعقلي .

لم يكن هذا النوع الجديد من الإصلاح مباحثاً إلا من حيث تطبيقه ، إنما هو ثمرة تجارب اجتماعية وله أسباب وتاريخ وتطور . فلقد اتجهت سياسة الإصلاح العامة في كل مكان نحو الإنتاج من أنواعه ورفع مستواه وزيادة النشاط . واستثمار الموارد الطبيعية والمواهب الأدبية بحدث الطرق . ولما اشتد التنافس بين الدول تطورت هذه السياسات وتخصصت فروعها وظهرت برامج للإنتاج والصحة واشتهر أمرها دولياً . على أن كل نشاط مترادف لن يحلو من إسراف تصحبه آفات وعيوب مهلكة للقوى فيؤدي إلى انحطاطها كما أنه يورث الملل والسقم والأمراض والتدمير والتور من العمل .

وتقد مررت المدينة الحديثة بتجارب قاسية قل أن تدرك الأهم أهمية هذه الحقائق التي سبق للفرد أن أدركها من تجاربه الخاصة . فكم من اعتصابات حدثت ومنازعات قامت بين المؤلن والعمال في المدن والأرياف بسبب تحديد ساعات العمل وأيام الراحة الأسبوعية

والمسوية . فالنشاط - كوظيفة طبيعية واجتماعية - حقوق كما عليه واجبات . ولهذا يجب أن يكون لكل سياسة إصلاحية وجهان متقابلان . أما إغفال هذا الأمر فهو ستر لعيب اجتماعي حلف العمل والإنتاج وهو في الحقيقة شريكت في الأجسام والنفس ويصبح على مر الأيام عاملا من عوامل الصعف الاجتماعي . وكان الحال في الدول الراقية أسبق من الحكومات بحكم الضرورة إلى مكافحة هذا العيب إما عن طريق المطالبة بتشريع حديد وإنما عن طريق آخروهو الرياضة البدنية الشعبية .

فالرياضة الشعبية هي وقاية من الملامى الضارة لأنها تبعد الإنسان عن أماكن الميسر واخترويرها من مساوئ المجتمع ، وهي بذلك وقاية من التبذير كذلك لأنها تزيد الجسم صحة وقوة وتكسب النفس صفات اجتماعية منها روح التضامن والثقة بالنفس والشعور في معتك الحياة بالتفؤل والمودة والعطف وحب المقام والصبر ، ولكن ظهر في كثير من الدول أنها غير كافية لمواجهة تات العمل ولم تنقطع شكاوى العمال عن الرعم من تحس حالاتهم ورتفاع مستوى معيشتهم ووجود أنظمة مختلفة لمحايتهم وحماية أسرهم كقوانين التأمين بأنواعه . بل كانت الصفات الرياضية أداة لحزبية وكثيرا ما وقفت في مواجهة الصالح العام . وقد بدأ إلى استئرها وبث الدعاية عن طريقها أحزاب وطوائف أخرى واتخذوا منها أداة لتنظيم الصفوف وتوحيد الجهود للوصول إلى غايات محدودة . فلها بذلك وجهان وجه الخير وأخر للشر وإنما كالنشاط العام في حاجة إلى توجيه يراعى فيه إيجاد التوازن الاجتماعي لاسيما في دول شمرت بوجود مضاعفة نشاطها والإثثار من إنتاجها ورفع مستواه إلى أقصى حد ممكن .

كذلك توجد أنواع كثيرة من الملامى البريئة ودواعي السرور يلجأ الإنسان إليها في أوقات فراغه ليعيد إلى نفسه نشاطها منها سماع الموسيقى والأغاني وحضور حفلات التمثيل والسينما والحفلات الاجتماعية المرححة ومنها مشاهدة الجمال في أنواع الفنون . غير أن التمتع بهذه الأنواع غير ميسور لكثير من العمال والفقراء فهم محرومون منها لظروف عديدة أهمها غلاء هذه الملامى وصعوبة التوفيق بين مواعيدها ومواعيد العمل والراحة . ولهذا فانهم يقضون أوقات فراغهم فيما لا يعود عليهم بفائدة صحية أو نفسية . فهم يقتلون الوقت وهيئات أن يسلموا من شر الملامى الرديئة وهم يعطلون في كل حال بعض النشاط المدخر فيهم . وقد تنهت بعض المصانع الكبرى إلى ذلك فظلمت أوقات الفراغ لعمالها بعد أن ثبت لها أن هذا يعود عليهم بفوائد مادية وأدبية ويقلل من تدمرهم ، كما أنه يزيد من إنتاجهم ففتحت لهم أندية يجدها فيها العامل بيئة تلائمه ويستفيد منها صحة وثقافة وحظا وافرا من الألعاب الرياضية والملامى السليمة والحفلات البريئة بأنواعها ، كما يجدها فيها الغذاء الصحي الرخيص وبعض أنواع المعونة متى احتاج إليها .

هذه التجارب الاجتماعية أظهرت الرابطة بين العمل وأوقات الفراغ وأرشدت المصنحين إلى طريق جديد لمكافحة عيوب النشاط الاجتماعي في البيئات المختلفة، وكان من الضروري الاستفادة من هذه النتائج وجمع بين ما قررناه بشأن الرياضة لشعبية وأندية العمال وتسيقها في نظام يوحدنا ويوجهها إلى خدمة ناصح العام، وهذا ما قامت به بعض الحكومات ونفدته وساهمت في نفاقته. وتأييد نجاحه في مؤتمرات دولية وكان مظهرا من مظاهر التعاون الحكومي لأهلى والتعاون بين الطبقات وأدى إلى زيادة الإلتاح والرؤوة العامة وإلى رفع مستوى العامل في المصانع والمزارع والمكاتب من حيث الفن والثقافة والشعور بالكرامة الذاتية والقومية، وأكسبه تربية اجتماعية قوية.

ولم يكن الإكراه أساسا لهذا النظام، إذ للعامل حرية الإلتحاق فيه والانضمام تحت لوائه ولكنه ككل نظام يطالب أعضائه بواجبات كما يسمحهم حقوقا وميزات.

هذا النظام عبارة عن مجموعة من أندية ومؤسسات شعبية منتشرة في أنحاء البلاد تديرها هيئة رئيسية ذات فروع وشعب تشرف عليها وتراقبها وتشجعها طبقا لبرامج موضوعة تناسب البيئات المختلفة. وتنشئ أخرى كما دعت حاجات البيئات لندك، كما أنها تستعين بالمدرسين والمؤسسات الأخرى القائمة والمسارح وغير ذلك للوصول إلى غاياتها وتتألف هذه الهيئة من رئيس ووكيل وإدارات لكل واحدة منها اختصاص معين، وهذه الاختصاصات هي الشؤون العامة والفنون والثقافة والرياضة والرحلات والمعونة والتأسيس والإدارة. وتستعين في عملها بأقسام للتفتيش والصحة ومكاتب فنية وقضائية. وهي كوظائف عقل مديرتحركها إرادة فعالة نحو غايات قومية شعبية تهنيء للشعب أحسن الظروف التي تكفل له حياة سعيدة. وذلك بعد درس جميع المؤسسات والأندية الحكومية والأهلية التي يمكن الإلتحاق بها لتحقيق هذه المطامح وتحديد طرق الإلتحاق ووسائله. وكذلك بعد بحث أنواع الملامى والمسرات والألعاب ومظاهراتها وحفلاتها في المناطق المختلفة التي تقام فيها ثم تسيقها وتنفيذ نتائج أبحاثها لتوجيهها توجيها اجتماعيا لمصلحة الشعب على أساس المبادئ التي تقرر نجاحها في الدول المختلفة لمعالجة المشاكل الاجتماعية لا سيما من وجوه الفقر والمرض والجهل. وتصدر هذه الهيئة أوامرو وتعليمات وإرشادات إلى فروعها في المناطق والأقاليم والمدن والقرى وتقوم بالتفتيش عليها ومراقبتها.

توجد في مصر حركة إصلاح كبيرة. ونحن نشعر بضرورة الإنتاج وبمخاجاتنا إلى تربية اجتماعية سليمة وإلى وجوب تنظيم صفوفنا على أساس توازن اجتماعي بين الطبقات. ونحن نعلم أن ميادين الإصلاح عديدة متنوعة كما تعلم مواطن ضعفنا وقد بدأنا ندرك أن حركة الإصلاح الاجتماعية مشؤها روح قومية تجسد الأفراد والجماعات لخدمتها، فيجب أن يعمل

كل رغب في الإصلاح العام على توحيد أنواعها كله كانت هذه من طبيعة واحدة وترى إلى غايات واحدة. فالأمة أصبحت أكثر استعدادا لقبول ذلك وهو بذاته قوة وفيه قتصاد في الوقت والنفقات والجهود ، وأن ما نسمى إلى إنشائه من أندية رياضية ومؤسسات اجتماعية لإسعاد الفلاح والعامل والفقير والمحروم ورفع مستوى معيشتهم يمكن معالجته في سياسة موحدة لنشاطها وغاياتها والانتفاع بما هو موجود منها الآن فضلا عن الانتفاع بالمقاصف والمسارح وغيرها — يجب أن نبدأ في تقرير هذه السياسة اقتفاء لغيرنا وأخذنا بتجارب الأمم الأخرى فجميع الوسائل متوافرة لدينا لا سيما ونحن نرى بيننا بعض الجاليات والطوائف الأجنبية تنفذ مثل هذه السياسة لتحقيق أغراضها الاجتماعية التي تعود على أبنائها بفوائد عظيمة والتي تجتذب كثيرا من المصريين إلى الانضمام تحت لوائها . كذلك أن الطريق مهده لأن حركة إنشاء الأندية حديثة العهد فهي قابلة للتشكيل والتوجيه .

ونحن أحوج من شعوب كثيرة إلى هذا النوع من الإصلاح الذي يعيد إلى هذه الطبقات الفقيرة شعورها بالكرامة ونصيها العادل من ثمرة جهودها وينهض بها من تلك المدرج السحيقة التي هبطت إليها ويسعف ضحاياها المنتشرين في كل مكان. وغير كاف أن نسمعها أناشيد الإصلاح تملأ أنغامها يوما بعد يوم ونضالها بالضحية في سبيل الوطن وإعزازة دون أن يعود عليها ذلك بفوائد محسوسة ، بل على العكس أنها ألفت الشعور بأن الغرم صبيها والغنم من حظ سواها . ويدلنا لسان حالها على يأس وسوء ظن بما يدور حولها .

لم تكن هذه الحالة نتيجة عيوب في استعدادنا القومي ووجداننا ، بل إنه أثر من آثار المدنية الحديثة التي باعتنا بغيرها وشربها ولم نسرع إلى الأخذ بنظمها الضرورية لمكافحة آفاتها .

يجب أن يكون الإصلاح مناسبا للنهضة القائمة وللروح الاجتماعية الجديدة وأوسع أفقا من الإصلاحات السابقة ، يراعى فيه التوازن بين الطبقات وألا يكون محصورا في أجزاء أو طبقات أو مناطق ، أو بتعبير آخر حديث يجب أن تكون أكثر جرأة في الإصلاح وما للجرأة في هذا المقام سوى الاعتدال في حدود التضامن الاجتماعي الذي هو صفة العصر الحديث .

حسين رمزي